آراء خطيرة

فى الخلافة الاسلامية

بقلم فضيلة الأستاذ

الشيخ طنطاوى جوهرى

مبحث الخلافة الاسلامية مبحث مهم من المباحث العلمية الاسلامية ، وكل علم لا يعرف الناس أدوار تاريخه ، يكونون فى دراستهم له ، وأحكامهم فيه ، أشبه شىء بمن يبنى بيته على شفا جرف هار ، أو بمن يستسمن ذا ورم و ينفخ فى غير ضرم .

إن الخلافة الاسلامية فى الأعصر الغابرة لعبت دوراً عظيما مهماً ، وشغلت أمم الاسلام قاطبة ، وتفرقوا فيها فرقا شتى وأحزاباً متباينة ، و ينشأ الناشئون من الأبناء على ماعودهم الآباء .

و ينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وكل حزب بما لديهم فرحون ، وهل يتسنى لطفل تربى على مذهب خاص فى أمر الخلافة أن يفكر فى القرآن وفى الاجماع ؟ بل يظل على عقيدته حافظاً لطريقته لا يتعداها ، جامداً عليها لا يتخطاها . إن أكثر نوع الانسان فى الارض مقلدون ، جمدت القرائح وتعارضت الظنون ، ووقفت الحركة العلميـة الاصلاحيـة فى جميع الشئون ، حتى إذا قرعت القارعة ، وأصابت الصاعقة ، وأحاطت بنا الأمم ـ وهم من كل حدب ينسلون ـ أذاقونا سوء العذاب ونحن غافلون . فتعالوا أيها المسلمون أنثر عليكم نبأ الخلافة ، وأبدى رأياً مجملا يقبل التفصيل والتحوير .

إن أمر الخلافة لن يستقر قراره و يتم الرأى فيه الا بالبحث فى أحوال الخلفاء السابقين والوقوف على أعمالهم حتى نستنتج نتائج منها ثم نعتبر بما فعله أسلافنا ، ونبنى على ذلك الاساس عملا بقوله تعالى « فاعتبروا يا أولى الأبصار » وقوله تعالى « أفلم يهدى للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون »

إن الخلافة إذا كانت مقيدة بالشورى موجهة للمصلحة العامة بأخلاص ، تصبح خدمة عامة لا يتنطح فى أمرها عنزان ، ولا يرثها الأبناء عن الآباء ، فان كانت غير ذلك كانت أداة سوء تتقلب فى أيدى الجهال وتأبى أن ينالها الأبطال . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر فعمر فعثمان فعلى رضى الله عنهم . درسنا مجمل أخلاق الخلفاء الراشدين فلم نجد أبا بكر وصى بها لابنه ، واستنكر عمر قول من طلبها لابنه عبد الله ، ثم لم نر أحداً منهم استكثر من الأموال واتبع الشهوات ، ذلك شأن الخلافة فى الاسلام . إن أمر الخلافة شورى

بين المسلمين « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » هذا هو الصراط المستقيم .

مضى عصر الراشدين ، وتولاها الأمويون وأولهم معاوية فاستبدوا بالأمر فقاومهم بنو هاشم ففتك بهم الامويون فتكا ذريعاً ، ثم اشتد العباسيون والعلويون فى مقاومة الامويين ، وساعدهم شيعتهم الفارسيون وبطلهم أبومسلم الخراسانى ، وأكثروا من موضوعات الاحاديث ، وما كاد الأمر يتم للعباسيين حتى قلبوا ظهر المجن للعلويين وفتكوا بهم فتكا ذريعاً ، وقتل المنصور محمد ابن عبد الله ، وهو الخليفة الحقيقى صاحب البيعة الصحيحة .

هنالك أصبح الخليفة العباسى بعد تشريد الأمويين يقتل العلويين باليمن وأبناء عمه العباسيين بالشمال ، بل كثيراً ما كانوا يقتلون شيعتهم غدراً كأبى مسلم الخراسانى وجعفر البرمكى وغيرهما كثير . ولقد تغالى العباسيون فى إذلال العرب كما تغالى بنو أمية فى إعلاء شأنهم على غيرهم ، وما قاله ابراهيم الامام لايرده مسلم . « من ترددت فى أمره فاقتله » وحرضه على قتل العرب فقتل منهم ٦٠٠ ألف رجل غدراً وهم آمنون

مات الرشيد وخلفه الأمين والمأمون وأم الاول عربية وأم الثانى فارسية فنصر الفرس ابن أختهم وشردوا العرب كل مشرد وأذلوهم ومنعهم المعتصم العطاء . ولما كانت أم المعتصم تركية من بلاد الصغد أصبح مغرماً بالترك غير واثق بالعرب ولا بالفرس أجمعين .

هنالك أصبحت الخلافة فى العباسيين اسما بلا مسمى ، وتنازع القواد من غير العرب الرئاسة وصار الخلفاء آلات صماء فى أيديهم فقتلوا منهم ٣٨ من ٥٩ وسملوا أعين بعضهم حتى زالت الدولة على أيدى التتار ، وكل ما حصل للعباسيين ثم نظيره فى الاندلس ، وقد كانوا يستغيثون بجيرانهم من الاسبان على أخوانهم ، فيهلك الفريقان ، فربما كانوا يقتلون المستجير بهم غدراً كما حصل لجندل بن حمود أمير اشبيلية إذ وعده البابا ودوق فيتريا وبعض دوقات أوروبا أن يكون ملك الاندلس كلها اذا ساعدهم فى فتح قرطبة فبر بوعده لهم فقتلوه غدراً وخربوا أشبيلية .

هذه شذرة من تاريخ الخلافة وما يتبعها من الامارات فى الاسلام . وكان ذلك كله عقابا على ترك الشورى المنصوص عليها فى القرآن . والذى أراه :—

أولا — أنه يجب على كل أمة — عربية أو غير عربية — أن تمنح التعليم للذكور والأناث بقدر الامكان .

ثانياً — يجتمع أمراء الاسلام المفوضون من أممهم فى أمر الخلافة ، لينتخبوا أميراً منهم لها ، على شريطة ألا يبرم أمراً إلا بمشورتهم من : صلح أو حرب أو غيرهما كما كان يفعل الخلفاء .

ثالثاً — أن يكون الانتخاب لسنين محدودة أو لمدة الحياة ، فاذا انقضت المدة فى الاول أو مات فى الثانى ، فلينتخبوا سواه بالشورى ، فاذا أعيد انتخابه فى الحالة الاولى قلد ذلك .

رابعاً — يجب أن يراعى فى الخليفة أمران مهمان وهما (١) أن يكون جيشه أقوى جيوش

الامراء (٢) أن يكون أهل مملكته أعلم من سائر الأمصار ،ولا يكون للنسب فضل إلا فى الترجيح ، اذا تعارض أميران واستوفيا ما ذكرناه. ونستأنس للشرطين المذكورين بقوله تعالى « وزاده بسطة فى العلم والجسم »

خامساً — كل أمير تسيطر عليه دولة أجنبية لا حق له فى تولى أمر الخلافة ، لأن رأيه تابع لرأى من فوقه ، وهذا ضار بالمسلمين .

سادساً — اذا تعذر الاجتماع فى هذا الزمان — لضعف أو افتراق كلمة — فليتربص المسلمون الوقت المناسب .

فأما الخلافة الضعيفة التي يتولاها من لا يحوز هذه الثقة ، فما هى إلا شبكة صائدين ، وحيلة محتالين ، فهل المسلمون عقار يتناوله الابناء عن الآباء ؟ كلا ، إنهم خير أمة أخرجت للناس ، وهم شهداء عليهم فليكونوا بالأولى لخلفائهم مصطفين ولهم مشيرين وعلى أعمالهم شاهدين ولاعوجاجهم مقومين .

هذا ما أراه في شأن الخلافة وفوق كل ذى علم عليم

طنطاوى جوهرى

آلام الحب

واحر قلباه من حب ثوى فيه ... ومن فراق بنار الشوق يكويه

أبلى النوى جسدى والهم يقلقه ... والدهر أمسى بنبل الويل يرميه

ففى فؤادى لهيب بات فى ضرم ... وفى جفونى بحور ليس تطفيه

يا من لها فى حشاى منزل رحب ... من لى سواك من الآنام يأويه

ذكراك تروى فؤاداً مسه عطب ... وشدة الوجد والاشواق تظميه

يا مهجتى قد بلينا بالبعاد ولا ... يزال ذا الدهر يبلينى وأطويه

قد شتت الله شملا كان يجمعه ... فهل ترى بعد هذا الويل يدنيه

عقدت فى القلب عهداً ثابتاً فصرو ... ف الدهر والبعد عنه ليس تثنيه

جد الفراق وقد ساءت عواقبه ... فصبر جميل وويل ليس يفنيه

أرضي بطيفك بعد البين وآسفاً ... على جمال ذوى سأعيش أرثيه

عبد العزيز جادو